

مسلك مالك بن نبي في الترجمة التأليفية: كتاب "بين الرشاد والتهيه" أنموذجا

**Malek Bennabi's Approach in the Authorial Translation
« A Case Study of "Bayna Arrachad wa Al-tih" »**

نصر الدين بتشيم¹ ، خميسة علوي²

¹جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، الجزائر

nacereddine.betchim@univ-alger2.dz

²جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، الجزائر

khemissa.aloui@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2024/02/03 تاريخ القبول: 2024/06/02 تاريخ النشر: 2024/06/30

ملخص:

تتناول في هذه الورقة البحثية بالدراسة والتحليل موضوع " الترجمة التأليفية" وهو نوع خاص من الترجمة يتكفل فيه صاحب النص الأصلي بنقل عمله إلى لغة أخرى. إنَّ كَوْنَ المؤلِّف هو ذاته صاحب النصِّ الأصلي يمكنه من تمرير رسالة لقارئه الأول مشتملة بأوشحة من حضارته وثقافته ونقل ذات الرسالة إلى القارئ الثاني أيضا في حُلّة من حضارته وثقافته. تطرقنا في البحث إلى ماهية الترجمة التأليفية وإلى الثنائية اللغوية والثنائية الثقافية وقدّما نبذة عن صاحب الكتاب المعني بالدراسة ومؤلفاته. أمّا في الجانب التطبيقي من البحث فقد تتبّعنا فيه خطى الأستاذ مالك بن نبي في ترجمته التأليفية لبعض مقالاته والتي أصدرها بالعربية في كتاب "بين الرشاد والتهيه" حيث درسنا حالات التصرف التي قام بها وخلصنا بعد الدراسة والتقصّي إلى أنّ منتوج الترجمة التأليفية هو نتاج ترجمة وليس إعادة كتابة ودَعَوْنَا في النهاية كلّ الباحثين إلى اعتماد هذا النوع من الترجمة لما يتيح من هامش للحرية وما يوفّره من حلول لمشاكل الترجمة.

الكلمات المفتاحية: الترجمة التأليفية؛ الثنائية اللغوية؛ التصرف؛ الترجمة الغيرية؛ إعادة الكتابة.

* المؤلف المرسل: نصر الدين بتشيم nacereddine.betchim@univ-alger2.dz

Abstract :

In this research paper, we explored the concept of 'authorial translation,' a distinctive form where the original text's author personally practices the translation of his own work. We provided definitions of authorial translation, bilingualism, biculturalism, and literary bilingualism. Then, we presented the author, his works, and the corpus relevant to the study. In the practical part, we followed Malek Bennabi's footsteps in the self-translation of his book « Bayna Errachad Wa TIH ». We concluded that the authorial translation results from a genuine translation process, rather than a rewriting of the source text. Consequently, we advocate researchers to embrace this form of translation for the significant creative freedom it affords and the effective solutions it offers to many translation challenges.

Keywords: Authorial translation; Bilinguism; Adaptation; Allograph translation; Rewriting.

1- المقدمة

لطالما شكلت الترجمة الحجر الأساس لكل بناء حضاري، فهي المنهل الذي لا ينضب معينه، ولا يُستنفد صهيبه، وسواء تعلّق الأمر بالعلوم أو بالأدب فقد قدّمت الترجمة مع تتابع الأزمنة حلولاً للبشرية في مجال التواصل والتجارة والتعليم. ثم إنّ الترجمة دائمة الحضور في المحافل الأدبية على مرّ العصور تملأ الفراغات الأدبية تجبرها متى كُسرت وتُقوّيها متى ضُعفت، وهي مع ذلك لا تخلو من صعوبات إذ تواجه ما تواجه من صعوبات متعلقة بالخصوصيات الثقافية والحضارية الخاصة بكل لغة، كون الترجمة هي الوسيط بين ألسن العالم وحضاراته حيثما كانت وبأي لسان نطقت. وتتعلّق مشاكل الترجمة تارة بصعوبات في فهم النص الأصلي وتأويله وتارة ثانية في إيجاد المُقابلات المناسبة في اللغة المنقول إليها للكلمات والعبارات الواردة في اللغة المترجم منها، بل واستحالة الترجمة أحياناً حال كون الكلمات والعبارات ذات شحنة ثقافية عالية.

إنّنا أمام الراهن الأدبي العربي، نراهن على تبني الترجمة حلاً لجبر النقص وسبيلاً للإسهام في إثراء المكتبة الجزائرية والعربية، بيد أنّنا في هذه الورقة البحثية نُؤيِّ وجوهنا شطر نوع آخر من أنواع الترجمة، نسبر أغواره ونقتفي آثاره، وهو نوع من الترجمة قلّما بُحِثَ فيه، إنّها الترجمة التأليفية.

الترجمة التأليفية La traduction auctoriale ترجمة يقوم بها مؤلفون يحترفون الكتابة بأكثر من لغة ولهم ملكات أدبية راقية وإنتاج أدبي سابق، وهم حال نقلهم لنصوصهم المكتوبة ابتداءً بلغة أخرى لا يتوانون في القيام بكم كبير من التصرف فيخضعون النصوص المترجمة لأساليبهم وطرق الكتابة لديهم وينتجون بذلك نصاً أصلياً توازي قيمته أو تزيد قيمة النص الأول.

تختلف الترجمة التأليفية Traduction auctoriale أو الترجمة الذاتية Autotraduction عن الترجمة الغيرية Traduction allographe العادية أو التي يقوم بها طرف ثاني من حيث كون ممارسها هم في الأصل مؤلفو النص الأصلي فلا يعدو نص الانطلاق في هذا النوع من الترجمة كونه نصاً استفتاحياً يمهد الطريق لولادة نص استثنائي لاحق له كنه النص الأول وحبكته وبنيته الروائية.

نسقط شق الدراسة التطبيقي على علم من أعلام الفكر الجزائري، علّم طالما طالّه التجاهل أو الإغفال، إنّه المفكر الجزائري الكبير مالك بن نبي، نلقي نظرة على تجاربه التأليفية وعلى ممارساته الترجمية. وندرس على وجه أخصّ اعتماده على الترجمة التأليفية في واحد من أهم كتبه وهو كتاب "بين الرشاد والتهيه".

سيمحو المترجم التألفي تلك الصورة النمطية التي تُرسم دوماً للمترجم والتي تضعه في ذيل ترتيب الكتاب، وترتقي به إلى درجة أعلى من الكتاب أنفسهم، إذ أنّه سيكون كاتباً ومترجماً في الآن ذاته، وبعدها لن يتقوقع المترجم ثانية مع مشاة جيش المؤلفين، بل ولن يكون البديل المتعاضد المكّد شبه المجهول في مَلاك النشر (مونان، 1994)، فمكانته ستكون في الصفوف الأولى مع فرسانهم.

سنسعى في هذه الورقة البحثية إلى الإجابة عن الإشكالية التالية:

- هل الترجمة التأليفية عند الأستاذ مالك بن نبي ترجمة عادية لها ما للترجمة وعليها ما عليها أم أنّها إعادة كتابة لنص جديد للمؤلف ذاته؟

سينتج عن الإشكالية عدّة أسئلة فرعية نحاول تقديم إجابات لها وأهمّها وتتعلّق بماهية الترجمة التأليفية وأنواعها وشروط ممارستها وعن الثنائية اللغوية والثنائية اللغوية الأدبية والثنائية اللغوية الثقافية.

نفترض أن يقودنا البحث إلى ترجيح كفة إحدى الفرضيتين التاليتين:

1- باعتبار أن الترجمة التأليفية هي عبارة عن ملكة إبداعية حقيقية فمنتوجها نص أدبي مستقل عن الأصل وإن تشابهت المسميات والأوصاف، وهي بهذا الوصف "إعادة كتابة".

2- إن المؤلفين الذين نقلوا أعمالهم بأنفسهم إلى لغات أخرى تركوا الأثر ذاته في متلقي الترجمة الذي تركه النصّ الأول في المتلقي الأول وهم قد راعوا في ذلك تركيبة النصوص المترجمة كل مراعاة ونقل تبعاً لذلك أنّ الترجمة التأليفية هي ترجمة عادية ولكن بحدود تصرف واسعة.

نهدف في هذه الدراسة إلى رفع اللبس عن هذا النوع من الترجمة بأن نوجد لها موضع قدم في عالم التأليف والترجمة باعتبارها مزاجية لهذين الأخيرين فنُسهم بالتالي -ما أمكنتنا الحيلة- في ميدان البحث العلمي، كما نهدف إلى القيام ولو بمجهود بسيط لإنارة جانب معتم من الحياة الفكرية والأدبية للأستاذ مالك بن نبي في ميدان الترجمة والترجمة الذاتية.

سنقوم بإجراء دراسة نظرية وتقديم تعاريف للمفاهيم ثم نُسقط كل ذلك على الأنموذج المختار وهو كتاب "بين الرشاد والتهيه" للأستاذ مالك بن نبي.

2- الترجمة التأليفية: ضبط للتسمية والماهية

الترجمة التأليفية والتي اخترناها كمقابل للفظ الفرنسي Traduction auctoriale

تشير إلى العملية الترجمية التي يقوم فيها صاحب النصّ أي مؤلفه بترجمة عمله بنفسه فهي ترجمة ذاتية، وتجدر الإشارة هنا إلى أننا لم نعثر على مقابل عربي للتسمية الفرنسية Traduction auctoriale سواء في القواميس أو الكتب والأبحاث التي أمكننا الاطلاع عليها فافترضنا لها "الترجمة التأليفية". وأمّا الترجمة التي يقوم بها غيره من المترجمين فافترضنا لها تسمية الترجمة الغيرية والتي نضعها كمقابل للعبارة الفرنسية Traduction allographe.

كثيراً ما يُطلق لفظ الترجمة الذاتية L'autotraduction على الترجمة التأليفية أي

التي يقوم بها المؤلف ذاته، ولئن كان لفظ الترجمة الذاتية شائعاً ومتداولاً فإن تسمية الترجمة التأليفية أقل شيوعاً، ولأن عبارة "الترجمة الذاتية" تحيل في المخيال الأدبي العربي إلى السيرة الذاتية، رأينا أنّه من المناسب ضبط التسمية برفع اللبس عنها، إذ كلمة "الذاتية" في هذا السياق والمقابلة للسابقة (affixe) الفرنسية auto تعني أن المؤلف قام بفعل الترجمة بنفسه

فهي إذن ذاتُ المؤلف لا ذاتيته وكلمة التأليفية متعلقة بالمؤلف. فالترجمة الذاتية أو التأليفية عملية ترجمة النصوص يقوم بها مؤلف العمل الأصلي، ينقل من خلالها نصّه المكتوب بلغة الانطلاق إلى لغة الوصول وهو نوع خاص جدًا من الكتابة يرتدي فيه الكاتب العباءتين جميعاً، عباءة المؤلف وعباءة المترجم مستغلاً في ذلك كفاءته اللغوية بأكثر من لغة وملكته التحريرية المرتكزة على معرفة أصيلةٍ بالمتعلّقات الحضارية لتينك اللغتين. حتّى إذا رأى النصّ المترجم ترجمة تأليفية النور كان هذا الأخير أقرب ما يكون من النص المحرّر ابتداءً وهو نص يفوق في قيمته الأدبية نص الترجمة الغيرية، إذ كلّما اقترب منتوج الترجمة الغيرية من النص الأصلي تشابه بشكل كبير منتوج الترجمة التأليفية، إذا كان متقناً مُبدعاً، يقول ميكائيل أوستينوف:

« Une (bonne) traduction allographe s'écarterait assez peu de la version autotraduite : en maints endroits des œuvres autotraduites, il est en vérité impossible de les distinguer ». (Oustinoff, 2009)

"لا تكاد تبتعد تبتعد ترجمة غيرية (جيدة) عن النسخة المترجمة تأليفاً إلا بالزر اليسير ففي مواضع كثيرة من الأعمال المترجمة ذاتياً، سيكون من المستحيل في الحقيقة التمييز بينهما." (ترجمتنا)

إنّنا نقول تبعاً لذلك إنّ نقل الكاتب لكتابه من لغة إلى لغة أخرى هو نوع خاص جدًا من الكتابة. إنّ كونه كاتباً ومترجماً في الحين ذاته يبوّئه مكانة مزدوجة حيث يقوم بتحديد وجهة نظر داخلية وخارجية في نصّه في الآن ذاته.

إن هذه المكانة هي أتاححت لهذا المؤلف المترجم مرتبة من تميز والإبداع يوازي فيها نصّه المترجم تأليفاً النص الأصل بل وقد يفوقه في القيمة وهو بذلك يدحض عن هذا النص الصفة التي التصقت بالنص المترجم وهي كما يقول جورج مونان:

« Tous les arguments contre la traduction se résument en un seul : Elle n'est pas l'original » (Mounin, 2020)

"تلخص كل الحجج المقدمة ضد الترجمة في حجة واحدة وهي أنها ليست الأصل" (ترجمتنا). إنّ هذه الوضعية دفعت العديد من المؤلفين إلى الاعتماد على أنفسهم في ترجمة أعمالهم، لسدّ كل ذريعة تنتقص من نصوصهم:

« The concept of authorship becomes particularly relevant when one sets out to find the reasons behind literary translation's [...] funding organizations and, as a consequence, the reading audience of literature in translation. So entrenched is the perception of translators as agents of a writer's work in another language and so widely accepted the notion of the translator as mere conduit of a work into another language, one risks being ridiculed when suggesting that the translator's name be placed on the cover of the book alongside that of the writer of the original. translators are rarely seen as authors » (Zeller, 2000).

"يصبح مفهوم التأليف ذا أهمية خاصة عندما يشرع المرء في البحث عن الأسباب الكامنة وراء تدني احترام الترجمة الأدبية ونتيجة لذلك، تسقط تلك الترجمة في عيون جمهور القراءة الأدب المترجم. إن تصور المترجمين كوكلاء لأعمال الكاتب بلغة أخرى وإن تمّ قبول عمل المترجم على نطاق واسع وباعتباره مجرد قناة لنقل العمل إلى لغة أخرى، بحيث يتعرض الفرد للسخرية عند اقتراح وضع اسم المترجم على غلاف الكتاب بجانب اسم كاتب العمل الأصلي. نادرًا ما يُعتبر مترجمو الأدب مؤلفين" (ترجمتنا).

إنّ هذه النظرة الدونية لعمل المترجم، بالإضافة إلى أسباب أخرى، هي ما حدا ببعض كبار الكتاب و حتى أولئك غير المعروفين إلى اعتماد التأليفية L'auctorialité من أجل أن يتمّ التقليل من قيمة العمل الأدبي وتجاوز اللاّ احترام إزاء النص الأدبي المترجم.

3. الثنائية اللغوية سبيلا إلى الترجمة التأليفية

إنّ أيّ مترجم جدير باسمه هو شخص يتقن لغتين قراءة وفهما وتحريرا، بمعنى آخر، هو شخص ثنائي اللّغة وهي الصفة اللصيقة بكل مترجم. وهي في حال الترجمة التأليفية أكّد وأظهر، إذ المترجم التألفي، بالإضافة إلى المهارات المفترض بالمترجم امتلاكها في الترجمة فهو مؤلّف بلغتين مختلفتين تنتمي إلى بيئتين حضاريتين مختلفتين تتقاربان أو تتباعدان، فكان من اللاّزم المؤكّد التعرّض بالدراسة لموضوع الثنائية اللغوية وإلقاء الضوء عليها دراسة نظرية ومن ثمّ محاولة إسقاطها على مدوّنة البحث تطبيقا وتمريّنا.

إنّ استخدام أكثر من لغة في الحياة الناس اليومية هو أمر أكثر من منتشر، ولكنّه لا يبدو كذلك إلاّ تمّ تناوله بالدراسة والتحليل، ويستخدم المصطلح بطرق كثيرة ومختلفة، يُمثّل لذلك فرانسوا قروجون بقوله:

"مثل الذين يعرفون ويستخدمون لغتين" (إشارة إلى الأشخاص ثنائيي اللّغة)، أو "الذي يُعرض بلغتين" (الكتب الثنائية اللّغة والافتراع ثنائي اللّغة)، أو "الذي يحتاج لغتين" (المهن ثنائية اللّغة) أو الذي يعترف بلغتين (الدول ثنائية اللّغة) أو الذي يتنقل من لغة إلى أخرى (القواميس ثنائية اللّغة)". (قروجون، 2017)

عرّف مفهوم الثنائية اللغوية تعريفات وشروحات متعددة ومختلفة، فهو من جهة مصطلح تقني ومن جهة ثانية مصطلح لساني يستعمله غير المتخصّصين، كما أنه يُعرّف استناداً إلى اعتبارات كثيرة.

الثنائية كلمة مشتقة من مادة ثني (الثاء والنون والياء)، جاء في معجم المقاييس لابن فارس: الثاء والنون والياء أصل واحد وهو تكرير الشيء مرتين، أو جعله شيئين أو متباينين، وذلك كقوله: ثبتت الشيء ثنيا والاثنان في العدد معروفان والثني في الأمر يعاد مرتين. (ابن فارس، 1979. ص 391)

تُقدّم معظم المعاجم، العربية منها والأجنبية، تعاريف متقاربة للثنائية اللغوية تكاد تتفق على أن الشخص ثنائي اللغة هو ذلك الشخص الذي يملك ناصية التحدث بلغتين أو أكثر. أسلفنا القول أنّ الثنائية اللغوية لازمة لكل مترجم وتتميز عند المترجم التأليفي بكونها ثنائية لغوية أدبية.

3.1 الثنائية اللغوية الأدبية:

الشرط الأساس لكل عملية ترجمة تأليفية هي التمتع بثنائية لغوية أدبية وهي مجموع الملكات المعرفية واللغوية والتحريرية التي يحتاجها الكاتب لإنتاج عمله الأدبي بلغتين مختلفتين أو نقل أحد أعماله إلى اللّغة الأخرى من خلال ترجمتها ذاتياً أو تأليفاً.

بالإضافة إلى المشاكل العامة التي تطرحها الترجمة، فإن للترجمة الأدبية مشكلات خاصّة بها لأنّ الأدب ظاهرة لغوية خالصة وهو نتاج ثقافة وحضارة، يضيف عليه المجتمع خصوصيته ثم

يعطيه الكاتب من أحاسيسه ومن ذاتيته، هذا النص الذي لا يمكن اجتثاثه من جذوره الثقافية والحضارية، فيفرض على المترجم تجاوز هذه العقبات.

فاللغة وحدها لا تكفي ولا بد من احترام البعد الحضاري للنص المراد ترجمته، يقول:

« L'unité de langue est une condition nécessaire mais pas suffisante pour une littérature nationale, il faut de plus une civilisation assez différente de celle dont une littérature donnée prétend se détacher, le problème est tout de nuance ». (Grutman, 2009)

"إنّ عامل اللّغة هو شرط أساسي، ولكنه يبقى غير كاف لإنتاج أدب وطني، إذ يجب بالإضافة إلى ذلك وجود حضارة مغايرة لتلك التي يزعم أدب ما أنه تخلص منها وهذه مسألة ذات دلالة" (ترجمتنا).

فما ننتظره من شخص يتكلم لغة ما هو أن يعبر عن نفسه، فإذا كان بإمكانه فعل ذلك بلغتين اثنتين كان ثنائي اللّغة وإن كانت درجة إتقانه لهما متفاوتة - غير أن هذه الثنائية التي يسميها راينر قروتمان (Grutman, 2009) "ثنائية لسانية تختلف عن "الثنائية الأدبية" التي تسمح لصاحبها التعاطي مع القضايا الأدبية فهماً وإنتاجاً.

4. مالك بن نبي كاتباً ومترجماً

مالك بن نبي مفكر وكاتب، مارس الكتابة بلغتين، ولقد كان في بداياته التأليفية يكتب بكلتا لغتيه كونه في احتكاك دائم مع لغتين: العربية لغة الشعب ولغة القرآن والتواصل اليومي والفرنسية لغة الإدارة ولغة التعلّم والعمل.

ولقد ظهرت بوادر الكتابة والتأليف لديه باكراً، كتب ابداء بالعربية (المسقاوي، 2013، ص51) بعدها باللّغة الفرنسية خلال إقامته في فرنسا ثم انتقل إلى الكتابة باللّغة العربية والترجمة إليها. نعرض فيما يلي باختصار لمؤلفات مالك بن نبي المكتوبة بالفرنسية وبالعربية والمترجمة ترجمة تأليفية.

4.1 أعمال الكاتب باللّغة بالفرنسية

- **Le phénomène coranique**: باكورة أعمال المفكر، كتبه في فرنسا عام 1947. (بن نبي، 2017 أ)

- **Lebeik** : (لبيك حج الفقراء): تجربة روائية للكاتب، كتبها سنة 1948، والرواية من بواكير الكتابة الروائية الجزائرية باللغة الفرنسية، (كثيرا ما يُنظر إلى كتاب « Le fils du pauvre » "نجل الفقير" لمولود فرعون على أنه أول عمل روائي جزائري)

- **Les Conditions de la renaissance** : شروط النهضة كُتب سنة 1949.

- **Vocation de l'islam** ألفه بن نبي سنة 1957.

- **L'Afro-asiatisme : Conclusions sur la conférence de Bandoeng** - كتبه سنة 1958.

- **Le Problème de la culture** (مشكلة الثقافة): كتبه المؤلّف عام 1957

- **Mémoires d'un témoin du siècle** (مذكرات شاهد للقرن) : الكتاب عبارة عن سيرة ذاتية للمفكر والكاتب الجزائري مالك بن نبي، يسرد فيها مع كثير من التحليل وقائع حياته وتجاربه الفكرية والنضالية خلال فترة تواجده في فرنسا، والممتدة زمنيا من 1930 إلى 1939.

- **Idée du Commonwealth islamique**: كتبه المؤلّف عام 1959.

- **Naissance d'une société**: أنجزه الكاتب عام 1960.

2.4 أعمال الكاتب باللغة العربية

بعد سفره إلى القاهرة عمل مالك بن نبي الكتابة باللغة العربية والترجمة إليها وإن كان يعهد لبعض طلبته هناك وأصدقائه بكتبه وكتاباته قصد مراجعتها فقد كان حديث عهد بالكتابة باللغة العربية:

- **الصراع الفكري في البلاد المستعمرة**: أول محاولة للكاتب ب اللغة العربية كتبه سنة 1959 في القاهرة.

- **تأملات**: كتبه سنة 1961، نُشر جزء منه عام 1960 بعنوان: حديث في البناء الجديد.

- **مجالس دمشق**: وهو عبارة عن مجموعة محاضرات ألقاها المؤلّف بين عامي 1971 و 1972 في دمشق بسوريا.

3.4 المؤلفات المترجمة ذاتيا

إضافة إلى مؤلفات مالك بن نبي باللغتين الفرنسية والعربية فإنه قام بنفسه بترجمة بعض كتبه نذكر منها:

مذكرات شاهد للقرن (Mémoires d'un témoin du siècle): ترجم المؤلف جزء "الطالب" من كتابه الأول المكتوب بالفرنسية وقد أثر الأستاذ مالك - رحمه الله- أن يترجمه بنفسه إلى العربية حين أنس في الترجمة الأولى (بن نبي، 1984، ص 7) شيئا من حواجز الصياغة تحول بين القارئ وإحساس المؤلف، الذي أودعه في كتابه وهو يصوغه بالفرنسية". (بن نبي، 1984)

- بين الرشاد والتهيه: تجربة أخرى للترجمة التأليفية عند مالك بن نبي وهو الأنموذج المختار التي اخترناها لدراسة الترجمة التأليفية عند مالك بن نبي، والكتاب مجموعة مقالات نُشِرت سابقا في جريدة الثورة الإفريقية (La Révolution Africaine) وفي جريدة المجاهد جمعها الكاتب وترجمها بنفسه إلى اللغة العربية وذلك في صيف 1972. (بن نبي، 2017).

- في مهب المعركة: أول عمل يترجمه المؤلف ذاتيا. ألفه الكاتب سنة 1962 وأهداه إلى شهداء الثورة (بن نبي، 1986)

5. نماذج من حالات التصرف في الرشاد والتهيه

ندرس تحت هذا العنوان الترجمة نماذج من الترجمة التأليفية التي قام بها الأستاذ مالك بن نبي في كتابه بين الرشاد والتهيه.

بيّنّا فيما في في هذه الورقة البحثية أنّ الترجمة التأليفية ترجمة يقوم بها صاحب النص الأصلي، وهو بهذه الصفة يقوم بالتصرف فيه بشكل كبير وهو لا يؤخذ على ذلك، عكس المترجم الغيري Le traducteur allographe الذي عليه أن يترجم بدقّة وأمانة معاني النص الأول لأنّ الترجمة تعني أن:

"نفهم النظام الداخلي للغة ما وبنية النص المكتوب في تلك اللغة، وأن نصنع نسخة من النظام النصي يمكنها، تحت وصف ما، أن تخلق لدى القارئ أحاسيس مماثلة، سواء على مستوى الدلالي والتركيبية أو على المستوى الأسلوبي والنظمي والرمزي- الصوتي

وجميع المؤثرات العاطفية التي كان يهدف إليها النص المصدر"
(إيكو، 2012)

سنحاول أن ندرس حالات التصرف التي قام بها المؤلف والتي لم يكن ليقوم بها مترجم آخر خشية الإساءة إلى رسالة الكاتب الأصلي، أما والكاتب هو المترجم فهناك الكثير من حالات التصرف بالزيادة والنقصان أو بالإبدال والتحوير وحتى غير المتطابقة.

1.5 الترجمة غير المتطابقة

لاحظنا وجود عدد من حالات عدم التطابق بين النصين الفرنسي الأصل والعربية الترجمة، وهذا النوع من الاختلاف لا يمكن السماح به أبداً لمترجم غير المترجم التأليفي ذلك أنه يعطي معلومة مختلفة وبالتالي أثراً مختلفاً في المتلقي غير الذي تركه النص الأول في متلقيه الأول. وكمثال على ذلك نورد التصرف التالي:

ورد في المقالة المعنونة بـ " Economie de subsistance et économie de développement " ما نصّه:

« Nous savons que l'Algérie investit en ce moment deux à trois milliards d'anciens francs dans le complexe sidérurgique d'Annaba qui créera, d'après les estimations du plan, trois mille emplois environ »
(Bennabi, 1967, d)

قدّم المترجم ترجمة للفقرة السابقة غير أنّه غيّر عدد مناصب العمل المنتظر توفرها بعد إنشاء مصنع الحديد والصلب بعنّابة، جاء في النص العربي:

"... فنحن نعلم أن الميزانية الجزائرية رصدت تقريباً مئتي مليار من الفرنكات القديمة تقريباً، لتُشيد بعناية مركب الحديد والصلب لإيجاد - حسب التقديرات الرسمية - نحو خمسة آلاف وظيفة" (بن نبي، 2017، ص 185)

نحن أمام رقمين مختلفين في كلا النصين، ففي النص الأول حدّد ما خصّصته الدولة من أموال لبناء المصنع بـ "مليارين أو ثلاثة" اكتفى في الترجمة العربية بتقديم رقم واحد مسبوق بكلمة "تقريباً" والقيمتان بعيدتان كل البعد عن بعضهما ففي الوقت الذي يحتمل النص الفرنسي قيمة

ما رُصد بثلاثة مليارات فرنك لا يكاد يجاوز في النص العربي بأي حال من الأحوال المليارين والحديث هنا عن مليار كامل من الفرنكات.

حالة أخرى من حالات اختلال النقل بين الأصل والترجمة وهي مشابهة لسابقتها فعدد المناصب المنتظر توفيرها هو ثلاثة آلاف في النص الفرنسي وخمسة آلاف في النص العربي.

إننا نعزو هذا التغيير في الأرقام إلى المدة الزمنية الفارقة بين كتابة النص الأول بالفرنسية وكتابة نظيره العربي، إذ قد تكون الأرقام المقدمة ابتداء تختلف عن تلك المقدمة فيما بعد. وبما أنّ صاحب النصّين واحد فهو لم يجد غضاضة في تغيير الأمر فله مطلق الحرية في ذلك وهذا وجه من الوجوه التي تتيحها الترجمة التأليفية ألا وهي تكييف النص الجديد مع مقتضيات الزمن وما اعتراه من تغيّرات.

2.5 التصرف بالزيادة

لا يتوانى المترجم التألفي في زيادة كلمات أو جمل وعبارات أو حتّى فقرات كاملة لنصّه الجديد، وغالبا ما تكون تلك الزيادات زياداتٍ شارحة عندما تقصر اللغة الهدف عن إعطاء مكافئ مقبول ومأنوس ويعطي المعنى بعده الكامل، ولكن في أحيان أخرى قد يفعل المؤلّف المترجم ذلك بغير غرض الشرح مستفيدا كما أسلفنا من وضعيته الخاصة: صاحب الأصل.

ليس من اليسير إيعاز كل تصرف ترجي يقوم به المترجم الذاتي إلى سبب من الأسباب الواضحة المقنعة، والحقيقة أنّ ما نقدّمه من تبريرات هي تخمين لما كان قد أوحى للمؤلّف بالتغيير المعني، ينطبق الحال على عدّة مواضع من الترجمة التأليفية وهذا واحد من هذه المواضع:

جاء في الأصل الفرنسي في مقالة Le processus révolutionnaire:

- « On répètera peut-être un lieu commun en disant que c'est à ses articulations qu'on est le plus sensible. Le coup au coude ou au genou est d'expérience quotidienne. C'est aux jointures, aux charnières que se révèle le plus souvent la défectuosité d'un mécanisme » (Bennabi, 1967, a).

وقابل ذلك النص الآتي من مقال "الاطراد الثوري"

- "ولعلّ كلامنا يكون من قبيل تقريع الواقع، إذا قلنا إن أحدا يشعر أكثر ما يشعر بالضربة حين تصيبه في مفصل من مفاصله. ويكفي أن نتصور الضربة التي تصيبنا في مفصل الذراع أو الركبة، لنقتنع بصحة ما نقول، وللأطفال في هذا تجربة يومية، ونضيف إلى ذلك أنّ الجهاز الميكانيكي كثيرا ما يصيبه العطب في مفاصله" (بن نبي، 2017).

فعبارة "لنقتنع بصحة ما نقول، وللأطفال في هذا تجربة يومية" لا أثر لها في النص الأصلي وهي غير ذات معنى كبير وليست شارحة ولكن المؤلف أضافها لنصه الجديد. أما عبارة "من قبيل تقريع الواقع" والتقريع هو التوبيخ والتأنيب فجاءت مقابلةً للجملة الفرنسية: « On répètera peut-être un lieu commun ».

ففي حال تعاطينا مع النص من وجهة نظر المترجم الغيري الحريص على تركيبة النص المصدر فسنحكم بأن العبارة ليست مواتية وهي لا تعبر بأدق ما يكون الأمر عن العبارة الفرنسية وهي عبارة ساخرة تعبر عن فكرة مألوقة ونقترح استبدالها بعبارة أكثر تداولاً وهي عبارة "من نافلة القول..." أو "جملة مثل "من الشائع أن..."

3.5 التصرف بالحذف والإنقاص

يقوم المترجمون التأليفون بحذف كلمات أو عبارات أو حتى فقرات كاملة، لاعتبارات كثيرة قد يكون بإمكان الدارس للترجمة الذاتية أن يعرفها أو قد تغيب عنه، ولا يمكن إلّا لصاحب النص الأصلي تقديم تفسيرات لها، ومردّ هذا التصرف هو الأخذ بعين الاعتبار قارئ النص الجديد وثقافته وقد يكون ذلك لأسباب اجتماعية أو عائلية وقد تكون أيضاً لأسباب لغوية فإذا أعوزته كلمة أو عبارة مثلاً وكانت الكلمة والعبارة تحمل شحنة ثقافية عالية، فمن ما يلجأ إليه المترجم التأليفي أو الذاتي هو الحذف.

في معرض حديثه عن معركة أحد والتي مثل بها لمن لا يشاطر نفس الرؤى الثورية - بتعبير مالك بن نبي- يقول:

« A la bataille d'Ohoud où la petite armée musulmane allait être secouée si durement par l'armée qorachaïte conduite par Abi Soufyane, le Prophète a refusé néanmoins le concours d'Abdallah

ben Oubay qui lui apportait cependant un renfort qui pouvait doubler son propre effectif. Se tourment à deux hommes de ce clan, il leur dit « Ne combat avec nous que celui qui partage notre conviction, retournez à Médine. (Bennabi, 1967b).

أما النص العربي فقد خلا من عدّة عبارات موجودة في النص الفرنسي، فعبارة Retourner à La Médine (عودوا إلى المدينة) لا توجد في النص العربي:

"ففي غزوة أحد حيث يتعرض جيش المسلمين لضربة قاسية من جيش المشركين تحت قيادة قريش نرى النبي عليه الصلاة والسلام يرفض على الرغم من قلة عدد من معه من المهاجرين والأنصار وعدتهم، يرفض سند عبد الله بن أبي وهو على رأس المنافقين واليهود ويقول: "لا يقاتل معنا إلا من هو على ملتنا". (بن نبي، 2017، ص15)

كما أغفل المؤلف جملة qui pouvait doubler son effectif وللعبارة مرامي مفاهيمية ذات أهمية أكيدة، إذ يُفهم منها أنّ المدد الذي أحضره عبد ابن أبي يساوي في عدده عدد جيش المسلمين أو يقاربه ولسنا بصدد البحث عن صحة الرواية إذ ما يهّمنا هو حالات التصرف التي اعتمدها المترجم.

بالعودة إلى العبارة السابقة Retourner à la Médine والتي من المفترض أن تكون حديثا نبويا إذا الفعل مصرف في الأمر وإذا صُرف الفعل في الأمر كانت الجملة ذاتية أنّ هناك مُرسل Destinataire يتوجّه بطلب أن أمر إلى مرسل إليه Destinataire والسياق عن النبي ﷺ متحدّثا وعبد الله بن أبي مستهدفا بالخطاب فلا بد أن تكون الجملة حديثا نبويا ولكنّا لم نعثر عليه في كتب الحديث ونرجح أنّ المؤلف يكون قد حذفه من النصّ المترجم بعدما تبين له أنّه ليس بحديث.

4.5 بالتحوير والإبدال

ظهر لنا من خلال دراستنا للترجمة التأليفية عند مالك بن نبي أنّه كثيرا ما يحاول أن يتشبّه تشبّها شديدا بالنص خشية أن لا يكون النقل مؤثرا ولا يبلغ أهدافه كاملة ولكنه مع ذلك

يميل إلى التصرف زيادة أو نقصانا أو تبديلا وتحويرا. فهو مع احترامه لإيراده تسلسل الأحداث وتحليلها والتعليق عليها، إلا أنه أعطى لنفسه كامل الحرية في إنتاج نص يخدم أهدافه ويبلغ به مآربه.

ونحن إذ نحاول دراسة إستراتيجيته في الترجمة، فإن تركيزنا سينصبّ على حالات التصرف التي قام بها والتحويلات التي لجأ إليها، محاولين في كل مرة إيجاد مبررات التحوير ومعرفة المآرب التي كان يرغب بالوصول إليها.

لا يمكن الجزم بالغاية من هذه التبديلات التي طالت الترجمة العربية للمقالات، ولكنها في العموم جاءت لمراعاة الجانب الديني والاجتماعي والثقافي وأحيانا السياسي للقارئ العربي.

في المثال التالي من إحدى المقالات يغير المترجم العبارة الفرنسية:

« Et je suis persuadé que le colonialisme ou son successeur, le néocolonialisme, voudrait nous **fixer à jamais ce pli dans notre mentalité** pour nous priver précisément du sens de nos responsabilités »
(Bennabi, 1967, c).

أما النص العربي فقد خلا من العبارة الفرنسية *fixer ce pli dans notre mentalité* ذلك أن ترجمة أمينة قد تكون من قبيل:

- " أنا مقتنع تماما أن الاستعمار وخليفته الاستعمار الجديد يريدان ترسيخ تلك الثنية في أذهاننا ويفقدوننا كل حسّ بالمسؤولية" (ترجمتنا)

ولكنّ صاحب الترجمة أبدل العبارة السابقة بعبارة رأى أنّها أنسب لمراميه:

- "إنني لا أشك في أن الاستعمار أو وريثه الاستعمار الجديد، يريد ألا نحتطب إلا من ذلك الحطب إلى نهاية الدنيا، حتى نفقد تماماً الشعور بالمسؤولية" (بن نبي، 2017، ص 149)

"لا نحتطب إلا من ذلك الحطب" العبارة ليست واسعة الاستعمال و لكننا نفترض أنّ الاختيار ليس عبثيا لعملية الاحتطاب يقوم بها عادة من ضاقت به سبل العيش أي الفقير الذي لا يمكن أن يدير تجارة أو يجد عملا أيسر بمردود أكثر، سيكون الأثر الذي تركه العبارة لدى المتلقي العربي مربوطة برأينا بذلك الحطّاب الفقير الذي لا يملك قوت يومه متمثلا في ذلك قول الرسول

﴿ كما عند البخاري ومسلم : " لَأَنَّ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ " ﴾ (صحيح البخاري رقم 2473). فارتبطت صورة قلّة ذات اليد بصورة الاحتطاب وكذلك هو الاستعمار يريد أن تبقى البلاد المستعمرة ترزخ تحت نير الفقر إلى نهاية الدنيا.

5.5 وضوح الأصل والتباس الترجمة

الملاحظ على تحرير مالك بني باللغة الفرنسية أنّه تعبير راق لا تشوبه شائبة، ولكن يصعب نعتُ التعبير العربي بذات الوصف، وكنا قد علمنا أنّ مالكا قدر اللغة العربية طفلا ولكنّا تعتقد أنّ درجة إتقانها لم تزق لأن تكون لغة تحرير حتّى مع محاولة تحسين أدائه بها عندما ذهب إلى القاهرة، لذلك نجد الأستاذ عمر مسقاوي ينوّه في أكثر من مكان حال نشره لكتب مالك بن نبي أنّه راجعها وصحّحها، كما فعل ذلك مع الكتاب موضوع الدراسة، يقول في الصفحة 7 من الكتاب:

"وقد سلّمني أصول هذا الكتاب إثر الفراغ منه، فلمّا قرأته وجدت من المناسب مراجعة النص بما يحافظ على أسلوب الأستاذ مالك، ويزيل إبهام بعض العبارات وهكذا أصبح الكتاب جاهزا للتداول بين أيدي القراء" (المسقاوي، 2013، ص 7)

فمن خلال دراستنا للترجمة التأليفية للمقالات المترجمة، لاحظنا وجود الكثير من العبارات التي قد لا تؤدي المعنى المراد منها، أو يصعب فهمها من دون إعمال النظر.

سنحاول، في معرض دراستنا للترجمة التأليفية عند بن نبي، أن نورد أمثلة عن ذلك وسنعمد في كل مرة إلى اقتراح بديل مأنوس سهل تأوله. جاء في مقالة Le pétrole round ما نصّه:

« Les deux **autarcies** - il faut entendre ce mot dans le sens d'indépendance économique - apparues dans le monde après la dernière guerre, résultent en effet d'abord des populations et de l'espace dont disposaient les USA et l'URSS » (Bennabi, 1967c).

ورد في الترجمة العربية، مقابلا للفقرة السابقة ما نصّه:

"فالكلمتان اللتان تحققان الاستقلال الاقتصادي وقد ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية، ليستا غير ما تتمتع به الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي من المساحات الواسعة وعدد السكان. (بن نبي، 2017، ص166).

لن يجد القارئ الفرنسي حرجا في فهم النص وبخاصة بعد أن أضاف له المؤلف تلك الجملة الاعتراضية الشارحة، بأن الاكتفاء الذاتي المحقق في كل من الولايات المتحدة وروسيا تأتي أصلا من اكتفاءهما ذاتيا من الناحية الجغرافية ومن الناحية الديمغرافية وبأن المفهوم ظهر بعد الحرب العالمية الثانية.

أما إذا عدنا إلى النص العربي فعلى القارئ أن يمعن التفكير جيدا، فكلمة "كلمتان" والتي جعلها المؤلف مقابلا لكلمة autarcie يصعب التكهن بها أو كان من المستحسن الحفاظ على العبارة الشارحة.

إننا نقترح ترجمة للعبارة السابقة ما يلي:

"تحقيق الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي للاكتفاء الذاتي، الذي ظهر مفهومه بعد الحرب العالمية الثانية، يعود أساسا لما يمتلكانه من طاقة بشرية ومجال جغرافي".

6. خاتمة وتوصيات

لقد سعينا في هذه الورقة البحثية أن نميط اللثام ونزيل الإبهام عن رافد من روافد الترجمة نرى أنه ذا فائدة كبيرة ألا وهو الترجمة التأليفية وهي ترجمة يقوم بها صاحب النص الأصلي فينقل نصّه من لغة الانطلاق إلى لغة الوصول كونه ضليع في اللغتين جميعا كونه صاحب ثنائية لغوية أدبية وصاحب ثنائية ثقافية تسمحان له بالتنقل بين تينك اللغتين كتابة وترجمة.

لا يخفى على كل باحث في الميدان اللغوي الجزائري أنّ جلّ الأساتذة والباحثين مزدوجو أو ثلاثيو اللّغة، ونحن إذ نقوم بهذه الدراسة فلكي نضرب لهم مثلا بباحث جزائري كان لا يتقن سوى لغة واحدة لكنّه اجتهد وترحم أعماله الفكرية إلى اللّغة العربية. لقد انتقل مالك بن نبي من الكتابة بالفرنسية إلى الكتابة بالعربية متّخذا الترجمة التأليفية سبيلا له إلى ذلك فبدأ بنقل أفكاره إلى اللّغة العربية ولمّا يكن ضليعا فيها، ذلك قدّمنا دراسة لتجربته الترجمية وبينّا شساعة هامش التصرف في الترجمة التأليفية.

أفضت بنا الدراسة إلى أنّ الترجمة التأليفية عند مالك بن نبي أنّها نوع خاص متميّز من الترجمة، يحوي كمًّا من عمليات التصرف غير متاحة في الترجمة الغيرية، ولكنها تحافظ على كونها ترجمة وهي ليست إعادة كتابة، إذ الأثر المتروك حال قراءة النصين واحد، فيما يلتحف كلاهما وشاحا من حضارته وثقافته.

لقد خلصنا من خلال الدراسة أنّ الترجمة التأليفية أو الذاتية هي عملية ترجمة تحترم روح النص الأصلي وتقدّم الرسالة ذاتها التي قدّمها النص الأول وتترك الأثر ذاته الذي تركه النص الأول في قارئه الأول رغم كمّ عمليات التصرف التي قام بها المترجم الذاتي.

إنّنا نسمح لأنفسنا من خلال هذا المنبر أن ندعو كافة الفاعلين في حقل البحث العلمي الجزائري أن يمارسوا الترجمة الذاتية لأبحاثهم وأن يكتبوها بإحدى لغات ثنائياتهم اللغوية. وتجدر الإشارة هنا إلى مدى أهمية الاعتماد على هذه النوع من الترجمة للتغلب على صعوبات الترجمة ومطابقتها لنقل التعلّمات والدروس الجامعية، المقدمة سابقا باللغة الفرنسية، إلى اللغة الانكليزية تماشيا مع توجّهات الوزارة الوصية وتوجهاتها في الإدراج التدريجي للتعليم باللغة الانكليزية، واعتمادها كلغة للتدريس.

المراجع باللغة العربية

- ابن فارس، أحمد. (1979). معجم مقاييس اللغة. دار الفكر
- إيكو، ر. (2012). أن نقول الشيء نفسه تقريبا. تر أحمد الصمعي. مكتبة الفكر الجديد.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، حديث رقم 2473
- بن نبي، مالك. (1981). في مهب المعركة، دمشق: دار الفكر
- بن نبي، مالك. (1984). مذكرات شاهد للقرن. دمشق: دار الفكر
- بن نبي، مالك. (2017). بين الرشاد والتهيه. دمشق: دار الفكر
- جروجون، فرانسوا. (2017). ثنائيو اللغة. تر زينب عاطف. المملكة المتحدة: هنداي
- المسقاوي، عمر. (2013). في صحبة مالك بن نبي. دمشق: دار الفكر
- موان، جورج. (1994). المسائل النظرية في الترجمة، تر لطيف زيتوني. دار المنتخب العربي.

المراجع باللغة الأجنبية

- Bennabi, M. (1967). Conférence des 77. *La révolution Africaine*. N° 247. Pp 26-27
- Bennabi, M. (1967). Economie de subsistance et économie de développement. *Révolution africaine*. No 252. Pp 20-21
- Bennabi, M. (1967). Le pétrole round. *La révolution Africaine*. N° 229. Pp 22-2
- Bennabi, M. (1967). Le processus révolutionnaire. *La révolution Africaine*. N° 232. Pp 20-21
- Bennabi, M. (2006). *Mémoires d'un témoin du siècle*. 2^{ème} édition. Editions Samar.
- Grutman, R. (2009). *La autotraducción en la galaxia de las*. <https://ddd.uab.cat/pub/quaderns/11385790n16/11385790n16p123.pdf>
- Mounin, G. (2020). *Les belles infidèles*. Presses Universitaires du Septentrion.
- Oustinoff, M. (2009). *La traduction*. Presses Universitaires de France.
- Zeller, B. (2000). *On Translation and Authorship*. <https://doi.org/10.7202/004640ar>